المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

مقصد أول ما نزل من القرآن من سورة العلق

دراسة استقرائية تحليلية

إعداد

د. عبد المحسن يوسف ناصر المعيلي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة

جامعة الكويت. دولة الكويت

abdulmohsen.almeaili@ku.edu.kw

Dr. Abdulmohsen bin Yusuf bin Nasser al-Muaili
Assistant Professor, Department of Exegesis (Tafsir) and Hadith, College of Sharia, Kuwait University, Kuwait.

الملخص:

فكرة البحث بيان مقصد أول ما نزل من القرآن، وتظهر أهمية البحث في عظيم مقصد أول ما نزل به القرآن، وكيف تغير مجرى التاريخ على إثر نزول هذه الآيات. وتبرز إشكالية البحث في عدم بروز مقصد أول ما نزل من القرآن، وعدم معرفة الحكمة في البداءة به عن باقي السور والآيات. ويهدف البحث إلى بيان مقصد أول ما نزل من القرآن، والكشف عن أسرارها ولطائفها، ولَفْت النظر لعظيم حكمة القرآن في ألفاظه ومعانيه، ومقاصده وأسراره. واتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك باستقراء آيات السورة في دلالاتها اللفظية والمقاصدية، مع تتبع أقوال العلماء في ذلك، ثم تحليل الآيات، وأوجه دلالاتها، وتدبرها للترجيح بين كلام أهل العلم، واستخراج مقصد نزولها وسر عظيم أثرها. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث عظم أول ما نزل من القرآن لفظًا ومعنًى ومقصدًا، واختلاف أقوال العلماء في تحديد مقصدها إلى أربعة أقوال، وترجح للباحث أن مقصدها هو إسعاد البشرية بتوحيد رب البرية، ودلل على ذلك المقصد باثني عشر وجهًا من الآيات. لذلك يرى الباحث أهمية أن تفرد السور القرآنية ببحوث مفردة لبيان مقصدها، والاجتهاد في تدبرها للتوصل إلى عظيم مقصدها، لإصلاح واقع الأمة.

الكلمات المفتاحية: مقصد – المقاصد القرآنية – أول ما نزل – سورة العلق.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدايةً ونورًا للعالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن العظيم بلغ الغاية في حكمته وإتقانه، من حيث ألفاظه ومعانيه، ومقاصده وأسراره، وهو مَعِين لا ينضب، ولا تنقضي عجائبه على كثرة التأمل والتفكر، وعلى ممر العصور والأزمان، ومن ذلك التأمل والتدبر لمقصد أول ما نزل من القرآن، وسر البداءة به، وعظيم الأثر الواقع بسببها على مجرى التاريخ، وقد بوب البخاري في كتاب التفسير على حديث عائشة رضي الله عنها في أول ما نزل من القرآن في غار حراء أربعة أبواب؛ مما يلفت به النظر إلى أهمية التفقه في تفسير هذه الآيات العظيمات، والوقوف على الحكمة من البداءة بهذه الآيات في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، فـ"هذه الآيات الكريمات المباركات أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم"[(١)] وبهذه الآيات تغير التاريخ البشري وشع النور على كوكب الأرض، وتكرم الكريم جل في علاه على البشرية بإنزال وحيه على خيرة خلقه صلى الله عليه وسلم[(٢)]، وهي كالعنوان للقرآن الكريم لجمعها أهم مقاصد القرآن الكلية[(٣)]، فسمت همة الباحث لبيان مقصد هذه الآيات، على وجه يكشف بعض إعجازها في مقصدها ومعانيها، مستعينا بالله عز وجل ثم بكلام العلماء وبما يفتح الله علي من التدبر والتفكر لعظيم ما فيها.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١- أول ما نزل من الآيات كالعنوان للقرآن لجمعها أهم مقاصد القرآن الكلية[(٤)]، مما يبين أهمية تحرير مقصدها والوقوف على حِكَمِها ولطائفها.

٢- خفاء مقصد أول ما نزل من الآيات وسر البداءة بها، مما يوجب جمع كلام العلماء والترجيح بينه، وربط معانيها التفصيلية بمقصدها الرئيس.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/٤٣٧).

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/٥٨).

(٣) ينظر: فتح الباري، ابن حجر (٨/ ٥٨٩).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٨/ ٥٨٩).

- **أسئلة البحث:**

تكمن مشكلة الدراسة في عدم وضوح الحكمة والمقصد من البداءة في أول ما نزل من القرآن، مما يستدعي الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما أول ما نزل من القرآن؟
٢. ما مقصد أول ما نزل من القرآن وما سر البداءة به عن باقي السور والآيات؟
٣. ما معاني وأسرار أول ما نزل من القرآن وما ربطه بمقصد نزولها؟

- **أهداف البحث:**

١. تحرير مسألة عظيمة في مقصد أول ما نزل من القرآن، والكشف عن عظيم أثرها على البشرية والتاريخ.
٢. جمع كلام أهل العلم في بيان مقصد أول ما نزل من القرآن.
٣. تحليل أول ما نزل من القرآن وبيان مقصدها وأسرارها وعظيم أثرها.
٤. بيان حكمة القرآن في ألفاظه ومعانيه، ومقاصده وأسراره.

- **حدود البحث:**

النصوص الواردة في بيان أول ما نزل من القرآن، وبيان مقصده وحكمته، الظاهر منها والخفي.

- **الدراسات السابقة:**

تناولت كتب التفسير والمقاصد –في الجملة– مقصد أول ما نزل من القرآن، من ضمن حديثهم عن مقاصد السور، لكن لم أقف على من حرر مقصد أول ما نزل من القرآن على الوجه الذي تناولته في البحث، بجمع كلام أهل العلم عليها، وتحليل الآيات، وربط معانيها وأسرارها بمقصدها.

- **خطة البحث:**

-المقدمة وفيها أهمية الموضوع، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

-التمهيد: بيان أول ما نزل من القرآن.

-المبحث الأول: في تعريف علم مقاصد السور، وأهميتها، وكيفية التوصل إليها، وفيه ثلاثة مطالب:

-المطلب الأول: تعريف علم مقاصد السور.

-المطلب الثاني: أهمية علم مقاصد السور.

-المطلب الثالث: كيفية التوصل لمقاصد السور.

-المبحث الثاني: مقصد أول ما نزل من القرآن، وفيه مطلبان:

-المطلب الأول: أقوال العلماء في مقصد أول ما نزل من القرآن.

-المطلب الثاني: اختيار الباحث في مقصد أول ما نزل من القرآن.

-الخاتمة.

-قائمة المراجع والمصادر.

- **منهج الدراسة:**

اتبعت في البحث المناهج العلمية الآتية:

١. المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء آيات السورة في دلالاتها اللفظية والمقاصدية، مع تتبع أقوال العلماء في ذلك.

٢. المنهج التحليلي: وذلك في تحليل الآيات وتدبرها للترجيح بين كلام أهل العلم، وربط معانيها التفصيلية بمقصد نزولها وسر عظيم أثرها.

التمهيد: في بيان أول ما نزل من القرآن

قبل البدء بالحديث عن مقصد أول ما نزل من القرآن، لا بد أن نبين خلاف العلماء في أول ما نزل من القرآن وبيان الراجح فيه وسبب ترجيحه.

اختلف أهل العلم في أول ما نزل من القرآن على أقوال أربعة[٥]:

- القول الأول: أن أول ما نزل من القرآن أول خمس آيات من سورة العلق، وهو الذي عليه أكثر أهل العلم من السلف والخلف[٦] لحديث عائشة رضي الله عنها الطويل في قصة نزول الوحي في غراء حراء وفيه قولها رضي الله عنها (فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغَطَّنِي[٧] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[٨]، وحديث جابر رضي الله عنه في نزول صدر سورة المدثر يدل عليه أيضا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإذا الملك الذي قد جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض)[٩] فالملك معهود للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جاءه قبل ذلك بحراء بأول سورة العلق، وهو القول الأقرب لقوة أدلته وصراحتها.

- القول الثاني: أن أول ما نزل سورة المدثر وهو اختيار جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كما جاء عن يحيى بن أبي كثير، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قلت: يقولون: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت: فقال

---

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٠٦/١)، فتح الباري، ابن حجر (٦٧٨/٨)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٩١/١)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي (ص: ٢٦٠).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٣٣/٣٠).

(٧) فغطني: أي فعصرني وكبسني بشدة، وأصل الغط يدل على الصوت، ومنه الغطيط للنائم والغط في الماء وهو الغمس وما يصحبهما من الصوت. ينظر: معجم المقاييس لابن فارس (غط) (٢٨٤/٤)، النهاية لابن الأثير (غطط) (٣٧٣/٣)، لسان العرب لابن منظور (٣٦٢/٧).

(٨) الجامع الصحيح، البخاري، (٧/١)، (ح: ٣).

(٩) الجامع الصحيح، البخاري، (٧/١)، (ح: ٤).

جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "جاورت[١٠] بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني[١١] وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١-٣][١٢]، والأقرب أنها أولية مخصوصة بما بعد فتور الوحي لا أولية مطلقة أو يقال هذا من اجتهاد جابر رضي الله عنه وخالفه ما روته عائشة رضي الله عنها فيقدم المرفوع على الموقوف.

- القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، واستدلوا على ذلك بما جاء عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا، فقالت: معاذ الله، ما كان الله ليفعل بك، فو الله إنك لتؤدي الأمانة، أو تصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ أبو بكر بيده، فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه، فقصا عليه، فقال إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فأنطلق هاربا في الأرض، فقال: لا تفعل، فإذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين. حتى بلغ. ولا الضالين)[١٣]، وهذا الحديث ضعيف لا يعارض بما جاء في

(١٠) فجاورت: أي: اعتكفت، وأصل الجار هو من يقرب من مسكنك، ففي أصله معنى القرب لهذا أطلق على من يقرب من غيره ينظر: (مقاييس اللغة لابن فارس (جور) (٤٩٣/١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (جور) (٣١٤/١).

(١١) دثروني: أي غطوني في ثوب، وأصل دَثَرَ يقال للشيء المتراكم بعضه على بعض. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (دثر) (٣٢٨/٢)، مفردات الراغب (دثر) (ص: ٣٠٨)، النهاية لابن الأثير (دثر) (١٠٠/٢).

(١٢) الجامع الصحيح، البخاري، (٦/ ١٦١)، (ح: ٤٩٢٢).

(١٣) دلائل النبوة، البيهقي، (١٥٨/٢).

الصحيح، فقد قال الإمام البيهقي بعد ذكر الحديث: "هذا منقطع، فإن كان محفوظًا فيحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعد ما نزلت عليه، اقرأ باسم ربك، ويا أيها المدثر، والله أعلم"[(١٤)].

- القول الرابع: أن أول ما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) استدلالًا بالحديث السابق عند البيهقي وقد تقدم الرد عليه من كلام الإمام البيهقي.

فتبين من ذلك أن الراجح هو القول الأول لقوة أدلته وصراحتها.

(١٤) دلائل النبوة، البيهقي، (٢/١٥٨).

المبحث الأول

تعريف مقاصد السور، وأهميتها، وكيفية التوصل إليها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم مقاصد السور.

المقاصد جمع مَقصَد وهو لغة: إتيان الشيء والتوجه إليه[١٥]، قال ابن فارس مبينًا أحد معاني قصد: "يدل أحدها على إتيان شيء وأَمِّه...فالأصل: قصدته قصدًا ومقصدًا. ومن الباب: أَقْصَدَه السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه"[١٦]، وجاء في تاج العروس للزبيدي: "أَصلُ (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتِزامُ والتَّوَجُّه والنُّهُودُ والنُّهوضُ نحو الشيْء"[١٧] فإذن من معاني المقصد في اللغة التوجه إلى الشيء وتحديده وعدم الميل عنه.

أما المقصد اصطلاحًا يدور حول المعنى الكلي المتوجه إليه والمراد من القرآن أو السورة، وتنوعت عبارات العلماء في تعريف مقاصد السور بما هو مبني على المعنى اللغوي، فعرف البقاعي مقصد السورة –وهو من أبرز من اعتنى بعلم مقاصد السور وأظهره– بقوله: "فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرا"[١٨]، وعُرِّف بأنه "مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها"[١٩]، وعرف بأنه "الموضوع الرئيسي للسورة"[٢٠]، وكل هذه التعاريف حسنة لكن قد تناقش بأنها اقتصرت على أن كل سورة لها مقصد واحد لا تتعداه وهذا يصعب تطبيقه على جميع السور لا سيما السور الطويلة إلا بشيء من التكلف، فقد يكون للسور –لا سيما الطويلة– أكثر من مقصد

(١٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (قصد) (٩٥/٥)، تاج العروس، الزبيدي (قصد) (٣٦/٩).

(١٦) مقاييس اللغة، ابن فارس (قصد) (٩٥/٥).

(١٧) تاج العروس، الزبيدي (قصد) (٣٦/٩).

(١٨) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي (١٤٩/١).

(١٩) علم مقاصد السور، محمد الربيعة (ص: ٧).

(٢٠) علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن زين المطيري (ص:٨).

واحد، فالأقرب أن تعرف مقاصد السور بأنها: الغايات الكلية للسورة التي تربط المعاني التفصيلية في سلك ناظم.

المطلب الثاني: أهمية علم مقاصد السور.

تبرز أهمية علم المقاصد في الأمور الآتية[٢١]:

١. علم مقاصد السور في حقيقته يرجع إلى تحقيق التدبر للاهتداء بالقرآن العظيم، والتدبر للاهتداء هو مقصد عظيم من إنزال القرآن لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وأنكر الله جل وعلا على من يقرأ القرآن ولا يتدبره فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم، يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض"[٢٢]، ومما يبين اتساق المعاني وائتلاف الأحكام وشهادة بعضها لبعض بالتحقيق والتصديق الوقوف على مقاصد السور.

٢. علم مقاصد السور هو الغايات الكلية للسور وترجع إليه المعاني التفصيلية الدقيقة، فهو كالكل للجزء، ومن أحكم الأساس والقواعد أحكم البنيان والتفاصيل، قال البقاعي: "فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه. وهكذا في دليل الدليل، وهلم جرًّا. فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة

(٢١) ينظر: مصاعد النظر، البقاعي (١/١٥٥)، علم مقاصد السور، الربيعة (ص: ١٢)، علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن زين المطيري (ص:٣٧).

(٢٢) جامع البيان عن تفسير آي القرآن، الطبري (٨/٥٦٧).

ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها. وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"[٢٣].

٣. علم مقاصد السور يعين على معرفة الحق في تفسير الآيات، ومعرفة الراجح في اختلاف أهل العلم في تفسير الآيات، فقد يرجح القول الذي يتوافق مع المقصد العام للسورة من المعنى الذي لا يتوافق مع مقصد السورة وسياقها.

٤. علم المقاصد القرآنية يعين على فهم انتظام الآيات والسور، ويظهر وجه الترابط العجيب بين الجزئيات فتكون كاللحمة الواحدة، فيعين على ضبط التفسير وفهم القرآن، قال محمد عبد الله دراز: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وإنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"[٢٤].

٥. علم المقاصد القرآنية يعين الحفاظ على حفظ القرآن، بتذكر موضوعاته على إثر بعض، ويكشف الأسرار الناظمة للمعاني العديدة في السورة الواحدة.

المطلب الثالث: كيفية التوصل لمقاصد السور:

هناك طرق متنوعة للتوصل لمقاصد السور ومن أهمها إجمالًا -بعد الإخلاص لله عز وجل وحسن الاعتماد عليه واستمداد توفقيه- ما يلي[٢٥]:

١. تدبر كلام الله تعالى وكثرة التأمل والتعقل لآياته وسوره.

٢. ربط مقاصد السور بالمقاصد الكلية للقرآن.

٣. معرفة أحوال السورة من سبب نزولها، ومكانه، ووقتها، ومكية أم مدنية، وخصائصها، وسبب تسميتها، فهذه الأمور معينة لتفهم مقصدها.

---

(٢٣) مصاعد النظر، البقاعي (١/١٤٩).

(٢٤) النبأ العظيم، محمد دراز (ص:١٩٢).

(٢٥) ينظر: علم مقاصد السور، الربيعة (ص: ٤٧)، علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن زبن المطيري (ص٥٢).

٤. التأمل في بداية السورة ونهايتها، والتأمل في الربط بين ذلك، فهو معين لمعرفة مقصدها.

٥. الاطلاع على آثار السلف حول السورة، وكلام المفسرين في بيان مقصدها وأسرارها وحكمها.

٦. التأمل في الخيط الناظم، والمعنى المشترك للمعاني التفصيلية لآيات السورة كلها أو أغلبها.

٧. التفطن للكلمات المكررة، والأساليب الخاصة بكل سورة، والاجتهاد في ربط ذلك بمقصدها الكلي.

المبحث الثاني

مقصد أول ما نزل من القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقوال العلماء في مقصد أول ما نزل من القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]:

وغالب ما وقفت عليه من أقوال العلماء هو في بيان مقصد سورة العلق بعامة، وليس في مقصد أول ما نزل من القرآن من الآيات الخمس لكن كلامهم يكون شاملا لها.

اختلف العلماء في بيان مقصدها على أقوال:

- القول الأول: أنها تشير إلى مقاصد القرآن الكلية من التوحيد والفقه والتاريخ، ففيها إشارة إلى التوحيد: بذكر ذاته وصفاته، وإشارة إلى الفقه بالأمر بالقراءة والبدء ببسم الله، وإشارة إلى التاريخ في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]، ولهذا فهي جديرة بأن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده، قال ابن حجر: "الحكمة في هذه الأولية أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله، وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى العنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكده بذكر مثال سابق، وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله وفي هذه الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]"[٢٦]، وهذا القول قد يناقش بالتكلف والبُعد في ما يتعلق بالإشارة للفقه والتاريخ، ومن المعلوم تأخر نزول غالب

(٢٦) فتح الباري، ابن حجر (٧١٩/٨)، وينظر: الإتقان، السيوطي (٣٦٤/٣).

الأحكام الشرعية، وأكثره كان في المرحلة المدنية، ولا يظهر من الآيات الإشارة لها، وأما إشارته للتاريخ فهو فرد من أفراد العام الداخل في الآية لكن لا يظهر قصده قصدًا أوليًا في ظاهر الآيات.

- القول الثاني: أن مقصدها الأمر بعبادة الله تعالى الذي له الخلق والأمر، قال البقاعي: "مقصودها، الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكرًا لإحسانه، واجتنابًا لكفرانه، طمعًا في جنانه، وخوفًا من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد. وكلٌّ من اسميها دال على ذلك، لأن المربي يجب شكره، ويحرم كفره. على أن (اقرأ) يشير إلى الأمر، والعلق يشير إلى الخلق، واقرأ يدل على البداية، وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية، وهي النجاة يوم الدين باللازم. والعلق يدل على كل من النهاية والبداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم؛ عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدَّق بالإعادة عمل لها. وخص العلق، لأنه مركب الحياة، ولذلك سمى نفساً، فكأنه إشارة إلى تحريم أكل الدم، لأن من أكله تطبع بطابع صاحبه، وصارت نفسه كنفسه"[٢٧]، وهذا قول حسن مناسب لعظيم ما نزل من الآيات في أعظم قضية أتى بها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولكن قد يناقش بأن كفار قريش كانوا يعبدون الله جل وعلا ويشركون معه غيره، فمقصود الآيات ليس الأمر المجرد بعبادة الله، إذ هو متحقق، بل أتت الآيات بإفراد الله بالعبادة دون ما سواه، والتعلق بالخالق جل وعلا والتحرر من التوجه لأي معبود غيره، وتنوعت الإشارات لذلك كما سيأتي في اختيار الباحث.

-القول الثالث: أن مقصدها بيان عظيم قدرة الله تعالى، كما جاء في موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم في بيان مقصودها: "سورة العلق جاءت كسابقتها تبين عظيم قدرة الله، وذلك ببيان خلق الإنسان من علق وقدرة الله على تعليمه بعد خلقه، وكلها دلال جلية على عظيم قدرة الله وكمال فضله"[٢٨]، وهذا قول حسن وقد يناقش أن الآيات ذكرت قدرة الله العظيمة بخلق الإنسان للتوصل إلى تعبيد قلوب البشر بخالقهم وإفراده بالقصد والتوجه دون ما سواه، فبيان عظيم قدرة الله وسيلة لغاية عظيمة أتت بها الآيات كما سيتبين في اختيار الباحث.

(٢٧) مصاعد النظر، البقاعي (٣/٢١٣).

(٢٨) التفسير الموضوعي لسور القرآن لمجموعة من الباحثين (٩/٢٤٩).

-القول الرابع: أن مقصدها التحرر من العلائق بالعلم النافع الذي يقود إلى العمل الصالح، قال عدنان عبد القادر: "مهما كان معدن الإنسان فهو عالة على غيره عالق به، فقد (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ). وأشرف ما يتمعدن به العبد ليتحرر من قيود التقليد ويتخلص من كونه عالة على المخلوقين هو العلم النافع. فإذا تسلح بالعلم وتفقه فتحت له الدنيا أبوابها واستغنى بالله عنهم وارتقى إلى مراتب النجوم"[٢٩]، وهذا القول قد يناقش بأن العلم سلاح للتحرر من التقليد بلا شك لكن الآيات –والله أعلم– أتت بأعظم العلم وأزكاه وهو العلم بعظمة الخالق التي تقود لإفراده بالتعلق والعبادة، وكلما زاد الإنسان علمًا نافعًا زاد تحررًا من القيود البشرية والتعلقات الوثنية، وشعر بأعظم أنواع السعادات واللذات بالقرب من خالقه جل وعلا، وأتت الآيات تدل على ذلك من وجوه متعددة كما سيأتي في المطلب القادم.

(٢٩) جنى القلب الهايم، عدنان عبد القادر (ص: ٥١٣، ٥١٥).

المطلب الثاني: اختيار الباحث.

عند التأمل في الآيات، وأحوال نزولها، وما ذكره أهل العلم في تفسيرها ومقصدها رأيت أن مقصد أول ما نزل من القرآن من الآيات الخمس من سورة العلق في المقصد الرئيس للقرآن **بإسعاد البشرية بتوحيد رب البرية**؛ ويكون ذلك بتعليق قلوب البشر بالله جل وعلا دون ما سواه، فهي في التوحيد والإيمان بأوجز الألفاظ وأعذبها، وحاجة العبد للتعلق بالله وحده أعظم من كل حاجة، وسعادته بتعلقه بمولاه جل وعلا أعظم من كل سعادة، قال ابن تيمية: "اعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ليس له نظير فيقاس به؛ لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب؛ وبينهما فروق كثيرة. فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو: فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره: وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه. ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والْتَذَّ غير مُنْعِمٍ له وَلا مُلْتَذٍّ لهُ، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده، ويضره ذلك. وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه"[(٣٠)]، والقرآن ما أنزل لشقاء البشرية بل لإسعادها كما قال تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٢] قال قتادة: "لا والله ما جعله الله شَقِيًّا، ولكن جعله رحمةً ونورًا، ودليلًا إلى الجنة"[(٣١)]، والسعادة هي بتوحيد الله واتباع الوحي، قال ابن تيمية: "أصل السعادة وأصل النجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، والإيمان برسله واليوم الآخر، والعمل الصالح"[(٣٢)].

فمقصود أول ما نزل من الآيات من سورة العلق –والله أعلم– هو إخراج البشرية من تعاسة الكفر والشرك إلى سعادة التوحيد والإيمان، وما ذكره بعض أهل العلم في المطلب السابق من أن مقصود السورة إثبات قدرة الله جل وعلا، وأن العلم النافع يحرر من التقليد، والأمر بعبادة من له الخلق والأمر، لا يتعارض مع ما ذكرته لأنها كالمقاصد الجزئية التي تقود إلى المقصد الكلي،

(٣٠) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١/٢٥-٢٤).

(٣١) جامع البيان عن تفسير آي القرآن، الطبري (١٦/٩).

(٣٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٩/ ٣٤).

وبعد تأمل الآيات الخمس من سورة العلق رأيت أنها اشتملت على إثبات هذا المقصد العظيم بإسعاد البشر بتعليق قلوبهم بربهم جل وعلا من اثني عشر وجهًا:

- الوجه الأول: في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ أن أول واجب على الإنسان توحيد الله بالاستعانة به جل وعلا والاتكال عليه في كل أموره، ومنها أن يقرأ الإنسان مستعينًا بالله جل وعلا، قال ابن أبي العز: "الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك. ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك"[٣٣].

- الوجه الثاني: في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ الحض على التعلق باسم الله وحده دون ما سواه، وإبطال للنداء باسم الأصنام الذي يفعل وقت تنزل الوحي مع اللات والعزى[٣٤].

- الوجه الثالث: في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ اختيار لفظ (الرب) لما فيه من الرأفة بالمربوب والعناية به، وردًّا على الذين جعلوا أربابًا من دون الله، قال ابن عاشور: "عدل عن اسم الله العلم إلى صفة ربك لما يؤذن وصف الرب من الرأفة بالمربوب والعناية به، مع ما يتأتى بذكره من إضافته إلى ضمير النبيء صلى الله عليه وسلم إضافة مؤذنة بأنه المنفرد بربوبيته عنده ردًّا على الذين جعلوا لأنفسهم أربابًا من دون الله فكانت هذه الآية أصلًا للتوحيد في الإسلام"[٣٥].

- الوجه الرابع: في قوله تعال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] إثبات صفة الخلق لله جل وعلا التي يقر بها العرب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وإلزام لهم بالألوهية، فكما أنه الواحد بالخلق فيلزمكم أن توحدوه بالعبادة والتعلق ولا تشركوا به شيئًا.

---

(٣٣) شرح الطحاوية، ابن أبي العز، (٢٣/١)

(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤٣٧/٣٠).

(٣٥) المرجع السابق، (٤٣٧/٣٠).

- الوجه الخامس: في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ تذكير بأول نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من قدر على خلق الإنسان وسائر المخلوقات بهذا الخلق العجيب قادر على تعليم القراءة والعلم الذي يسعد البشرية(٣٦).

- الوجه السادس: في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] تخصيص للإنسان من بين المخلوقات لما فيه من عجيب آيات الله الدال على ربوبية الله وعظيم قدرته وعلمه وحكمته، وأنه لا إله إلا هو، قال ابن القيم: "خص الإنسان من بين المخلوقات لما أودعه من عجائبه وآياته الدالة على ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وكمال رحمته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، وذكر هنا مبدأ خلقه من علق لكون العلقة مبدأ الاطوار التي انتقلت إليها النطفة فهي مبدأ تعلق التخليق"(٣٧).

- الوجه السابع: في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ إشارة لعظيم نعمته بالنبوة، فكما خلق الإنسان من حال الضعف إلى حال القوة، فكذلك سينقل النبي صلى الله عليه وسلم من حاله قبل النبوة إلى الهوى والنور بالنبوة(٣٨)، وقد يقال في وجه آخر من الاستدلال من ابتداء خلقه من علق حتى كمل واستوى أن من خلقه واعتنى بتدبيره في بطن أمه إلى أن ينضج ويقوى لا بد أن يدبره بإرسال الرسل وإنزال الكتب(٣٩).

- الوجه الثامن: في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ تعريض بحمق المشركين الذي تركوا التعلق بالله وحده الذي فيه سعادتهم مع أن دليل الوحدانية قائم في أنفسهم(٤٠).

- الوجه التاسع: في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ فيها إثبات صفة الكرم لله جل وعلا، والكرم هو إعطاء ما ينفع لا لعوض، فمن أعطى ما يضر المعطى ليس بكريم، ومن أعطى

---

(٣٦) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٧٧/٩).

(٣٧) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٥٨/١)، وقال الرازي في تفسيره (٢١٨/٣٢) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]: "إشارة إلى الدلالة العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة والعلم والرحمة"، ونقله عنه القاسمي في تفسيره (٥١٠/٩).

(٣٨) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (٣٠٥/٦).

(٣٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: ٩٣٠).

(٤٠) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٣٨/٣٠).

ثم طلب عوضًا فليس بكريم[٤١]، وأيضًا فكل شيء شريف وعظيم في بابه فإنه يوصف بالكرم كما قال الله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦][٤٢].

- الوجه العاشر[٤٣]: وجوه الكرم لله عز وجل متعددة[٤٤] ومنها:

- أن الله جل وعلا لا يعاجل عباده بالعقوبة على ذنوبهم بل يحلم عنهم.
- أن الله سبحانه وتعالى لا يقطع رزقه عمن يعبد غيره.
- أن الله تعالى يستمر بالعطاء والكرم والتفضل على العبد حتى بعد جنايته ومعصيته.
- من العباد من يوصف بالكرم لكن الله تعالى وتقدس أكرم من كل كريم، لأن الكريم من بني آدم يأخذ مقابل كرمه إما مدحًا وثناءً أو جلب خير أو دفع ضر، أما الله جل وعلا فيغدق على عباده ولا يريد منهم نفعًا ولا دفع ضر، وفرض عليهم توحيده وعبادته لمصلحتهم ونفعهم.
- ومما يتعلق بسياق الآية فالله تعالى كريم في قراءة القرآن ويعطيك على كل حرف عشر حسنات.
- والله تعالى كريم في قراءتك ودعوتك إذا أردت به وجهه أن لا يعطيك ما تريد بل أفضل منه.

الوجه الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ فيها إثبات صفة العلم لله جل وعلا، وبيان عظيم مِنَتِه على الإنسان بتعليمه بالقلم، وهذا الإنسان ينتقل من الضعف والهوان بأنه مخلوق من علق وهي قطعة دم جامدة إلى كونه من أشرف المخلوقات بفضل الله جل وعلا بوسيلة العلم، فالعلم هو النهاية في الشرف والرفعة[٤٥]، والقلم له شأن عظيم في رفعة الإنسان

(٤١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١٧/٣٢)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٤٠/٣٠).

(٤٢) ينظر: مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٧٠٧).

(٤٣) وهذا الوجه مكمل للوجه التاسع إلا أني أفردته لأهميته.

(٤٤) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني (٢٥٦/٦)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٢٨١/٥)، مفاتيح الغيب، الرازي (٢٨١/٣٢).

(٤٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١٨/٣٢).

لهذا نوه بذكره في أول ما نزل من القرآن، قال ابن القيم مبينًا أهمية القلم: "هو إحدى آياته، وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه، وكتب به الوحي، وقيد به الدين، وأثبتت به الشريعة، وحفظت به العلوم، وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد؛ فوطدت به الممالك، وأمنت به السبل والمسالك، وأقام في الناس أبلغ خطيب وأفصحه، وأنفعه لهم وأنصحه، وواعظًا تشفي مواعظه القلوب من السقم، وطبيبا يبريء -بإذن بارئه- من أنواع الألم، يكسر العساكر العظيمة على أنه الضعيف الوحيد، ويخاف سطوته وبأسه ذو البأس الشديد، وبالأقلام تدبر الأقاليم، وتساس الممالك. والقلم لسان الضمير، يناجيه بما استتر عن الأسماع، فينسج حلل المعاني في الطرفين فتعود أحسن من الوشي المرقوم، ويودعها حكمه فتصير موارد الفهوم، والأقلام نظاما للأفهام. وكما أن اللسان بريد القلب فالقلم بريد اللسان، وتولد الحروف المسموعة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم، والقلم بريد القلب، ورسوله، وترجمانه، ولسانه الصامت"[٤٦]، ويظهر عظم هذه النعمة من وجوه متعددة، منها:

- أن معايش الناس ومصالحهم تقوم على الكتابة قال قتادة: (القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش)[٤٧].
- أن من أعظم الكرامة طلب العلم بالقراءة والكتابة، فهذه الآية أتت تفسر الأكرم جل وعلا مما يشير أن من أعظم الكرم نعمة التعليم بالقلم، لما فيه من تخليد العلوم[٤٨] ومصالح الدين والدنيا[٤٩].
- أن القلم والكتابة والتصنيف والتأليف فيه من الفوائد ما لا يعلمه إلا الله الأكرم، قال القرطبي: "نبه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو.

(٤٦) التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم، (ص: ٣٠٣).

(٤٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٩/٢٤).

(٤٨) قال الرازي في تفسيره (٢١٨/٣٢): "يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام، فقال: ريح لا يبقى، قال: فما قيده، قال: الكتابة".

(٤٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٤٩٦/٢).

وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا"(٥٠).

- قد تكون الوسائل الأخرى كالوسائل السمعية والبصرية في تبليغ العلم والأفكار أكثر انتشارًا من الكتابة لكن أعمق الأثر وأدومه يكون بالكتابة، فالقلم له قيمة عظيمة، لهذا أول ما نزل من الآيات نوهت بشرف القلم وأهميته.

- الوجه الثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ تأكيد لعظيم منة الله بتعليم الإنسان، وتعميم لتعليمه ما يجهل، وهذا التعليم يكون بخلق الله قوى التعلم في الإنسان من عقل وسمع وبصر، وبنصب الدلائل الكونية، وبإنزال الكتب، وإرسال الرسل وغيرها. قال ابن عاشور: "قد حصلت من ذكر التعليم بالقلم والتعليم الأعم إشارة إلى ما يتلقاه الإنسان من التعاليم سواء كان بالدرس أم بمطالعة الكتب، وأن تحصيل العلوم يعتمد أمورًا ثلاثة:

- أحدها: الأخذ عن الغير بالمراجعة، والمطالعة، وطريقهما الكتابة وقراءة الكتب فإن بالكتابة أمكن للأمم تدوين آراء علماء البشر ونقلها إلى الأقطار النائية وفي الأجيال الجائية.
- والثاني: التلقي من الأفواه بالدرس والإملاء.
- والثالث: ما تنقدح به العقول من المستنبطات والمخترعات.

وهذان داخلان تحت قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وفي ذلك اطمئنان لنفس النبيء صلى الله عليه وسلم بأن عدم معرفته الكتابة لا يحول دون قراءته لأن الله علم الإنسان ما لم يعلم، فالذي علم القراءة لأصحاب المعرفة بالكتابة قادر على أن يعلمك القراءة دون سبق معرفة بالكتابة"(٥١).

(٥٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢٠/٢٠).

(٥١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٤١/٣٠).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أحمده تعالى أن يسر لي بحث مقصد أول ما نزل من القرآن، وقد تبين لي نتائج عدة، وهي:

١. أن علم المقاصد القرآنية والسور علم ما زال خصبًا في التأصيل والتطبيق، ولم يحظ بالعناية اللائقة به كباقي علوم القرآن.

٢. عظم أول ما نزل من القرآن لفظًا ومعنًى ومقصدًا، وأن به تغير مجرى التاريخ والبشرية.

٣. اختلفت أقوال العلماء في تحديد مقصد أول ما نزل من القرآن إلى أربعة أقوال.

٤. ترجح للباحث أن مقصد أول ما نزل من القرآن هو إسعاد البشرية بتوحيد رب البرية، ودلل على المقصد باثني عشر وجها من الآيات.

وأما التوصيات:

- فأوصي بالبحوث التطبيقية في المقاصد القرآنية، بأن تفرد سورة معينة ويجمع كلام أهل العلم في مقصدها، ويجتهد في تدبرها وتأملها للتوصل إلى مقصدها لإصلاح واقع الأمة.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع والمصادر

١. **الإتقان في علوم القرآن**؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (م.ح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢. **البرهان في علوم القرآن**؛ محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (م.ح)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**؛ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، (م.ح)، دار الهداية، (د.ت).

٤. **التبيان في أيمان القرآن**؛ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (م.ح)، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥. **التبيان في تفسير القرآن (النكت والعيون)**؛ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

٦. **التحرير والتنوير**؛ محمد الطاهر بن عاشور، (م.ح)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**؛ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (م.ح)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٨. **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم)**؛ أبو السعود محمد بن محمد العمادي، (م.ح)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

٩. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**؛ مصطفى مسلم (ومجموعة من الباحثين)، (م.ح)، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٠. **تفسير القرآن**؛ منصور بن محمد المروزي أبو المظفر، (م.ح)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**؛ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (م.ح)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**؛ محمد بن جرير الطبري، (م.ح)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٣. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**؛ محمد بن أحمد القرطبي، (م.ح)، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

١٤. **جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها**؛ عدنان عبد القادر القادري، (م.ح)، (د.ن)، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٥. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**؛ أبو بكر البيهقي، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٦. **شرح العقيدة الطحاوية**؛ ابن أبي العز الحنفي، (م.ح)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٧م.

١٧. **علم مقاصد السور**؛ محمد الربيعة، (م.ح)، (د.ن)، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٨. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (م.ح)، دار المعرفة – بيروت، ١٩٥٩م.

١٩. **لسان العرب**؛ محمد بن مكرم ابن منظور، (م.ح)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

٢٠. **مجموع الفتاوى**؛ تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، (م.ح)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م.

٢١. **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**؛ إبراهيم بن عمر البقاعي، (م.ح)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢٢. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**؛ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (م.ح)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٣. **معجم مقاييس اللغة**؛ أحمد بن فارس الرازي، (م.ح)، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٤. **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**؛ فخر الدين الرازي، (م.ح)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

٢٥. **مفتاح دار السعادة**؛ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

٢٦. **المفردات في غريب القرآن**؛ الراغب الأصفهاني، (م.ح)، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٢٧. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**؛ محمد بن عبد الله دراز، (م.ح)، دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ مجد الدين ابن الأثير الجزري، (م.ح)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م.

Romanized - APA 7th Edition

1. **Al-Asfihani, Al-Husayn ibn Muhammad al-Raghib.** (1992). *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an* [Vocabulary in the Strange of the Qur'an]. (1st ed.). Dar al-Qalam.
2. **Al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Hajar.** (1959). *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari* [The Victory of the Creator in Explaining Sahih al-Bukhari]. Dar al-Ma'rifa.
3. **Al-Baghawi, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud.** (1999). *Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an* [Landmarks of Revelation in the Exegesis of the Qur'an]. (1st ed.). Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
4. **Al-Baqai, Ibrahim ibn Umar ibn Hasan.** (1987). *Masa'id al-Nazar lil-Ishraf 'ala Maqasid al-Suwar* [Ascents of Vision to Supervise the Objectives of the Surahs]. (1st ed.). Maktabat al-Ma'arif.
5. **Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn al-Husayn.** (1985). *Dala'il al-Nubuwwa wa Ma'rifat Ahwal Sahib al-Shari'a* [Evidences of Prophethood and Knowledge of the Conditions of the Lawgiver]. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
6. **Al-Biqa'i, Ibrahim ibn Umar.** (1987). *Masa'id al-Nazar lil-Ishraf 'ala Maqasid al-Suwar*. (1st ed.). Maktabat al-Ma'arif.
7. **Al-Imadi, Abu al-Sa'ud Muhammad ibn Muhammad.** (n.d.). *Tafsir Abi al-Sa'ud: Irshad al-Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim* [Exegesis of Abu Saud: Guidance of the Sound Mind to the Advantages of the Noble Book]. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
8. **Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad.** (n.d.). *Al-Nukat wa al-Uyun* [Points and Insights]. Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
9. **Al-Qadri, Adnan Abd al-Qadir.** (2014). *Jana al-Qalb al-Hayim fi Maqasid al-Suwar wa-Mahawiriha* [The Harvest of the Wandering Heart in the Objectives of the Surahs and Their Themes]. (1st ed.).
10. **Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad.** (1964). *Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an* [The Collector of Quranic Rulings]. (2nd ed.). Dar al-Kutub al-Misriyya.
11. **Al-Rabi'a, Muhammad ibn Abd Allah.** (2011). *Ilm Maqasid al-Suwar* [The Science of the Objectives of the Surahs]. (1st ed.).
12. **Al-Razi, Ahmad ibn Faris.** (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lugha* [Dictionary of Language Measures]. Dar al-Fikr.
13. **Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar.** (1999). *Mafatih al-Ghayb* [Keys to the Unseen]. (3rd ed.). Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
14. **Al-Sa'di, Abd al-Rahman ibn Nasir.** (2000). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan* [Facilitation of the Generous and Merciful in the Interpretation of the Words of the Bestower]. (1st ed.). Mu'assasat al-Risala.

15. **Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr.** (1974). *Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an* [Perfection in the Sciences of the Qur'an]. Al-Hay'a al-Misriyya al-Amma lil-Kitab.
16. **Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir.** (2000). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an* [The Collection of Clarity on the Interpretation of the Qur'an]. (1st ed.). Mu'assasat al-Risala.
17. **Al-Zabidi, Muhammad ibn Muhammad al-Murtada.** (n.d.). *Taj al-Arus min Jawahir al-Qamus* [The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary]. Dar al-Hidaya.
18. **Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Abd Allah.** (1957). *Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an* [The Proof in the Sciences of the Qur'an]. (1st ed.). Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya.
19. **Bin Ashur, Muhammad al-Tahir.** (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir* [The Verification and Enlightenment]. Al-Dar al-Tunisiyya lil-Nashr.
20. **Draz, Muhammad Abd Allah.** (2005). *Al-Naba' al-Azim: Nazarat Jadida fi al-Qur'an al-Karim* [The Great News: New Perspectives on the Noble Qur'an]. Dar al-Qalam.
21. **Ibn Abi al-Izz al-Hanafi, Ali ibn Ali ibn Muhammad.** (1997). *Sharh al-Aqida al-Tahawiyya* [Explanation of the Tahawi Creed]. (10th ed.). Mu'assasat al-Risala.
22. **Ibn al-Athir al-Jazari, Majd al-Din al-Mubarak ibn Muhammad.** (1979). *Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wa al-Athar* [The End in the Strange of Hadith and Tradition]. Al-Maktaba al-Ilmiyya.
23. **Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr.** (2008). *Al-Tibyan fi Ayman al-Qur'an* [The Clarification in the Oaths of the Qur'an]. (1st ed.). Dar Alam al-Fawa'id.
24. **Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr.** (n.d.). *Miftah Dar al-Sa'ada* [Key to the Abode of Happiness]. Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
25. **Ibn Jazi al-Kalbi, Muhammad ibn Ahmad.** (1995). *Al-Tashil li-Ulum al-Tanzil* [The Facilitation for the Sciences of Revelation]. (1st ed.). Sharikat Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam.
26. **Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukram.** (1994). *Lisan al-Arab* [The Tongue of the Arabs]. (3rd ed.). Dar Sadir.
27. **Ibn Taymiyya, Taqi al-Din Ahmad ibn Abd al-Halim.** (1995). *Majmu' al-Fatawa* [The Collection of Fatwas]. King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran.
28. **Muslim, Mustafa (and others).** (2010). *Al-Tafsir al-Mawdu'i li-Suwar al-Qur'an al-Karim* [Thematic Exegesis of the Surahs of the Noble Qur'an]. (1st ed.). University of Sharjah.